Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الكلام، وما تمتاز به اللُّغة من طاقات الإبلاغ والإفصاح. والكتاب قد صنعته، إلى جانب النَّوازع الفنِّيّة الأَدبيّة، دوافع علميّة مذهبيّة إذ يبدو أن المتكلمين - والجاحظ أحد أعلامهم - قد كانوا أشدَّ النَّاس عناية بخصائص الكلام البليغ لاعتمادهم على صياغة اللَّفظ وأفانين تصريفه في مناظراتهم ومساجلاتهم.

وللكتـاب غاية لعلَّها هي الَّتي حرّكت الجاحظ إلى تأليفه وتتمثَّل في الرّدّ على الشُّعوبيّة ردّا صريحا، وضمنيّا في أغلب الأَحيان فقصد بذلك إلى إبراز الطَّابع الَّذي انفردت به حضارة العرب فتميّزوا به عن غيرهم من ذوي الحضارات الأُخرى ولا سيّما الفارسيّة منها. وما هذه السّمة المميّزة إلا «البلاغة والفصـاحـة».

ولا شـكَّ أنَّ انبناء كتاب «البيان والتَّبيين» على هذه النَّزعة الدّفاعيّة هو الَّذي بوّأه منزلة مرموقة لدى مؤرّخي العلوم اللُّغوية والأَدبيّة فاعتبر الجاحظ بذلك - وما زال - **«مؤسّس علم البلاغة العربيّة» على ما في ذلك من عفويّة في الاستخلاص توهم بضرب من التَّولُّد التلقائيّ في نشأة العلوم** (٦).

والنَّـاظر في مادّة الكتاب يدرك أنَّها نسيج مزدوج: هي منتقيات تعربيّة إسلاميّة تتخلَّلها تعليقات واستطرادات شخصيّة. وهكذا ينطلق الجاحظ من نصوص أدبيّة ودينيّة - شعريّة ونثريّة - فيحاول أن يصوغ لنفسه نظريّة في «البـلاغة».

---

(٦) انظر: شوقي ضيف: البلاغة، تطور وتاريخ. ص ٥٧-٥٨.
عبد العزيز عتيق: تاريخ البلاغة العربية، ص ٥١.